مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

الترجيح بتفسير القرآن بالسياق القرآني عند ابن أبي زمنين ومكي بن أبي طالب.

مصطفى محمد مصطفى محمود أبو حطب(*)

المقدمة:

إن الترجيح بتفسير القرآن بالسياق القرآني هو سبيل من سبل الترجيح بتفسير القرآن بالقرآن وقبل أن نشرع في الترجيح بتفسير القرآن بالسياق القرآني نبين عدة نقاط أهمها:

- **المقصود بالترجيح بتفسير القرآن بالقرآن.**
- **حجية ترجيح تفسير القرآن بالقرآن.**
- **الترجيح بتفسير القرآن بالقرآن عند ابن أبي زمنين.**
- **الترجيح بتفسير القرآن بالقرآن عند مكي بن أبي طالب.**

المقصود بالترجيح بتفسير القرآن بالقرآن.

إن الترجيح بالقرآن هو استعمال أعلي طرق التفسير (١) وهو تفسير القرآن بالقرآن (٢).

ولكن في موطن الترجيح عند الاختلاف، بينما تفسير القرآن بالقرآن أوسع من ذلك، فهو يشمل مواطن الاختلاف والاتفاق، ويمكن تلخيص تفسير القرآن بالقرآن في النقاط التالية:

(*) باحث دكتوراه بقسم الدراسات الإسلامية كلية الآداب جامعة الوادي الجديد

(١)- طرق التفسير : هي المصادر التي يرجع إليها المفسر لكلام الله ، شرح مقدمة التفسير للطيار (ص٢٦٩)

(٢)- من الرسائل المؤلفة في تفسير القرآن بالقرآن :

- تفسير القرآن بالقرآن : أصوله ومنهجه للسيد عبد المقصود جعفر ، جامعة القاهرة (رسالة دكتوراه)
- تفسير القرآن بالقرآن : دراسة تاريخية نظرية ، لمحمد قجوي ، جامعة محمد الخامس (رسالة دكتوراه)
- تفسير القرآن بالقرآن ، لفاضل عبد العباس النعيمي ، جامعة بغداد (رسالة دكتوراه)
- تفسير القرآن بالقرآن : تأصيل وتقويم ، لمحمد الطبري ، جامعة الملك سعود (رسالة دكتوراه)

وممن اهتم بهذا النوع من المفسرين :

- الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن
- الحافظ ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم
- الأمير الصنعاني في تفسيره : مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن
- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

ومع ذلك فإنه لا يخلوا تفسير من تفاسير المتقدمين أو المتأخرين من وجود هذا النوع فيه كتفسير مكي بن أبي طالب ، وابن عطية ، وأبي حيان ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وغيرهم

أولا: ما يتوقف عليه فهم المعني داخل في الحد بلا إشكال وهو موضع اتفاق وهذا يشمل صورا عدة [١].

١. تبين المجمل.
٢. تقيد المطلق.
٣. تخصيص العام.
٤. تفسير لفظة بلفظة.
٥. بيان الناسخ للآية المنسوخة، ونحو ذلك مما يكشف المعني، ويوضح المراد.

ثانيا: ما ربط بينهما العلماء من الآيات مما هو خارج عن حد البيان، هذا

هو المختلف فيه، فبعضهم يعده داخلا في تفسير القرآن بالقرآن بينما يراه أصحاب القول الآخر توسعا وتجاوزا لهذا الحد ومن صور ذلك [٢]:

١. إتمام قصة في القرآن بجمع مواضعها.
٢. الجمع بين متوهم الاختلاف.
٣. جمع الآيات المتشابهة في الموضوع.
٤. جمع موارد اللفظ في القرآن وهو جمع إضافة معني لا إيضاح وبيان.

ثالثا: التوسع في استخدام المصطلح (تفسير القرآن بالقرآن) ومن هؤلاء

الإمام مكي بن أبي طالب رحمه الله في تفسيره

حجية ترجيح تفسير القرآن بالقرآن.

ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: " لما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٣] شق ذلك على أصحاب رسول الله صلي الله عيه وسلم وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم، إنه ليس بذلك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤]

(١)- التفسير والمفسرون للذهبي (ج١/ص٣٧/٣٨/٣٩.....) وفصول في أصول التفسير للطيار(ص٢٣)

(٢)- مقدمة أضواء البيان للشنقيطي (ج١/ص ١٠)، والتفسير والمفسرون للذهبي (ج١/ص٣٧).

(٣)- سور الأنعام الآية (رقم ٨٢).

(٤)- سورة لقمان الآية (رقم ١٣).

فخص عموم آية الأنعام بآية لقمان[١].

ما جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: " مفاتح الغيب خمس ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢] ففسر آية الأنعام المجملة بآية لقمان المفصلة[٣].

ما رواه الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه وأرضاه[٤]، عن النبي -صلي الله عليه وسلم- في قوله تعالي ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال " الدعاء هو العبادة"، وقرأ قوله تعالي ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٥]، فخص عموم أول الآية بأخرها ما جاء في البخاري عن أبي سعيد بن المعلي رضي الله عنه وأرضاه [٦] قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلي الله عليه وسلم فلم أجبه، أجبه، فقلت يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: " ألم يقل الله قوله تعالي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾،[٧]، ثم قال لي (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد﴾، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له، " ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن "، قال: (الحمد لله رب العالمين)[٨].

وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته [٩] ففسر إجمال سورة الحجر بسورة الفاتحة.

الفاتحة.

فكل هذه الأحاديث تدل على أصل عظيم ومصدر أصيل في التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن، وعليه فإن تفسير القرآن بالقرآن لا يقطع بحجته وصحته.

---

(١)- رواه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : (لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) (ج٦/ص١١٤) الحديث رقم (٤٧٧٦) ومسلم كتاب الإيمان ، باب : صدق الإيمان وإخلاصه (ج١/١١٤) رقم الحديث (١٢٤).

(٢)- سورة لقمان الآية (رقم ٣٤).

(٣)- رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) (ج٦/ص٥٦) رقم الحديث (٤٦٢٧).

(٤)- هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، له ولأبويه صحبة ، ولد عام اثنين من الهجرة وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد قدوم النبي صلي الله عليه وسلم ، ثم سكن الشام ، وولي إمارة الكوفة ، وقتل بحمص سنة ٦٥هـ ، وله أربع وستون سنة.

(٥) - سورة غافر الآية (رقم ٦٠)

(٦)- هو الحارث بن نفيع بن المعلي الأنصاري المدني صحابي ، توفي سنة ٧٣هـ وهو ابن أربع وثمانين سنة.

(٧)- سورة الأنفال الآية (رقم ٢٤).

(٨) - سورة الفاتحة الآية (رقم ٢).

(٩)- رواه البخاري في كتاب التفسير، باب : ما جاء في فاتحة الكتاب (ج٦/ص١٧) الحديث رقم (٤٤٧٤).

الترجيح بتفسير القرآن بالقرآن عند ابن أبي زمنين.

إن تفسير القرآن بالقرآن عند ابن أبي زمنين كثير كغيره من المفسرين الذين ساروا على هذا النهج، والأمثلة في تفسيره كثيرة أي تفسير القرآن بالقرآن، وهو من أصح طرق التفسير، وكان يدلل بالآيات على معاني الكلمات في التفسير وكذلك استدل بالقرآن على اختلاف القراءات ومسائل النحو، وتفسير القرآن بالقرآن يشمل جزء كبيرا من تفسير ابن أبي زمنين ومن أمثلة ذلك:

قال تعالي: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١] قال ابن أبي زمنين: "كل ما علا على الأرض فاسمه بناءا، والمعني: أنه جعلها سقفا مثل قوله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[٢][٣].

الترجيح بتفسير القرآن بالقرآن عند مكي بن أبي طالب.

إن تفسير القرآن بالقرآن هو المسلك الأول للمفسر الذي يفسر القرآن على مذهب أهل السنة والجماعة، وهو أعلي مراتب التفسير، فالله عز وجل هو الذي أنزل القرآن وهو أعلم بمراده فيه، وهذا النوع من التفسير يأخذ أشكالا متعددة، فما ورد عاما في آيات خصص في آيات أخري، وما ورد مطلقا في آيات جاء مقيدا في مواضع أخري، وما جاء مجملا فصل في آيات أخري وما جاء مبهما في مكان وضح في مكان آخر، وهكذا فالقرآن يفسر بعضه بعضا، وقد أدرك مكي هذا النوع من التفسير وأخذ به في تفسيره، وصرح في مقدمته بذلك، حيث قال: " هذا كتاب جمعته فيما وصل إلى من علوم كتاب الله جل ذكره، جمعت فيه علوما كثيرة وفوائد عظيمة من تفسير مأثور أو معني مفسر أو حكم مبين أو ناسخ أو منسوخ أو شرح مشكل أو بيان غريب أو إظهار معني خفي من فنون علوم كتاب الله جل ذكره[٤].

وبهذا نستطيع أن نقول أن مكي كان من أكثر المفسرين استخداما لتفسير القرآن بالقرآن.

(١)– سورة البقرة الآية (رقم ٢٢).

(٢)– سورة الأنبياء الآية (رقم ٣٢).

(٣)– تفسير ابن أبي زمنين الجزء ١/صفحة١٩).

(٤)– تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية (ج١/ص٧٢)

- بعد ما بينا المقصود بالترجيح بتفسير القرآن بالقرآن وحجية ترجيح تفسير القرآن بالقرآن والترجيح بتفسير القرآن بالقرآن عند ابن أبي زمنين و الترجيح بتفسير القرآن بالقرآن عند مكي بن أبي طالب سنتناول الحديث عن الترجيح
- **بتفسير القرآن بالسياق القرآني عند ابن أبي زمنين ومكي بن أبي طالب وبذلك بتطبيق كلا منهما لهذه القاعدة: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولي من الخروج به عن ذلك"**[١].

ويحتوي على عدة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالقاعدة

المطلب الثاني: بيان ألفاظ القاعدة

المطلب الثالث: أقوال العلماء في اعتماد القاعدة

المطلب الرابع: التطبيق على القاعدة

المطلب الخامس: تطبيق ابن أبي زمنين للقاعدة

المطلب السادس: تطبيق مكي بن أبي طالب للقاعدة

المطلب السابع: موازنة بين الإمامين ابن أبي زمنين ومكي بن أبي طالب في تطبيق القاعدة.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، (ص٢١٥).

المطلب الأول: المقصود بالقاعدة.

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولي من الخروج به عن ذلك"

إذا تنازع المفسرون في تفسير آية أو جملة من كتاب الله فمنهم من يحملها على معنى لا يخرجها من سياق الآيات، ومنهم من يحملها على معنى يخرجها من معاني الآيات قبلها وبعدها ويجعلها معترضة في السياق فحمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن، لأنه أوفق للنظم وأليق بالسياق ما لم يرد دليل يمنع من هذا التفسير أو يصحح غيره.(١).

المطلب الثاني: بيان ألفاظ القاعدة:

إدخال الكلام في معاني: هو الكلام الذي وقع فيه الخلاف بين العلماء بأن كان بعضهم يدخله في معاني ما سبقه وما يلحق به من كلام.

ما قبله: أي ما قبل هذا الكلام الذي وقع فيه النزاع وهذا يسمي "سباقًا".

قال ابن فارس: السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم(٢).

وقال الكفوي: (٣) والسباق بالموحدة ما قبل الشيء(٤).

ما بعده: أي ما بعد الكلام المتنازع فيه وهذا يسمي" لحاقا".

قال ابن فارس: اللام والحاء والقاف أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره.

يقال: لحق فلان فلانا فهو لاحق، وألحق بمعناه.

وربما قالوا: لحقته: اتبعته(٥).

(١)– قواعد الترجيح عند المفسرين ، دراسة نظرية تطبيقية ، تأليف: د/ حسين بن علي بن حسين الحربي ، راجعه وقدم له فضيلة الشيخ / مناع بن خليل القطان ، دار القاسم الرياض ، الجزء الأول ، الطبعة الأولي سنة(١٤١٧هـ – ١٩٩٦م)

(٢)– معجم مقاييس اللغة (ج٣/ص١٢٩) ولسان العرب (ج١٠/ص١٥١) ومفردات الراغب (ص٣٩٥)

(٣)– هو أبو البقاء أيوب بن موسي الحسيني الكفوي ، صاحب الكليات ، من قضاة الحنفية ، ولي القضاء في " كفة" بتركيا وبالقدس وببغداد ، وتوفي في استانبول سنة ألف وأربعة وتسعين ، الأعلام (ج٢/ص٣٨)

(٤)– الكليات للكفوي (ص٥٠٨)

(٥)– معجم مقاييس اللغة (ج٥/ص٢٣٨) ومفردات الراغب (ص٧٣٧) مادة " لحق"

واللحق: كل شيء لحق شيئا أو لحق به[١].

وهذا السباق واللحاق مجتمعا يسمي " سياقا " بالمثناة التحتية.

قال الكفوي: بعد أن ذكر السباق بالموحدة والسياق بالمثناة التحتية أعم يعني أعم من السباق[٢].

أولي من الخروج به عنهما: هذا هو الترجيح.

إلا بدليل يجب التسليم له: نبه إليه الطبري في مواضع كثيرة في مضمون تقرره لهذه القاعدة وترجيحه بها [٣].

ثم بين هذا الدليل الذي يصرف له الكلام عن سابقه ولاحقه بأنه:

خبر صحيح متصل السند، يفسر الآية ويخرجها بذلك عن سابقها ولاحقها أو يكون مصححا لأحد الأقوال التي قيلت في الآية والتي تخرجها عن سياقها.

أو إجماع من أهل التأويل على تفسير الآية ويكون ذلك التفسير مخرجا لها عن سباقه ولحاقها [٤].

المطلب الثالث: أقوال العلماء في اعتماد هذه القاعدة.

وفي هذا المطلب نتناول فيه أقوال أهل العلم من العلماء في اعتمادهم لهذه القاعدة، وذلك على النحو التالي:

مسلم بن يسار[٥]: قال: إذا حدثت عن الله فقف حتي تنظر ما قبله وما بعده[٦].

(١)- لسان العرب (ج١٠/٣٢٧) مادة "لحق"

(٢)- الكليات للكفوي (ص٥٠٨).

(٣)- جامع البيان (ج٢/ص٨٢)و(ج٧/ص٢٦٨)و(ج١٤/ص١٥٨).

(٤) - جامع البيان(ج٧/ص٢٦٨).

(٥)- مسلم بن يسار البصري أبو عبدالله ، تابعي ثقة ، روي عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما ، توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز سنة مائة ، وقيل إحدي ومائة ، تهذيب الكمال(ج٢٧/ص٥٥١) وسير أعلام النبلاء (ج٤/ص٥١٠)

(٦)- تفسير ابن كثير (ج١/ص١٧)

صالح بن كسبان[١]:قال مستدلا على صحة قوله في تفسير قوله تعالي ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٢] إنما يراد بهذا الكافر، اقرأ ما بعده يدلك على ذلك[٣].

محمد بن جرير الطبري: استدل بهذه القاعدة على صحة ترجيحاته لبعض الأقوال في تفسير بعض الآيات، وذلك في مواطن كثيرة فهي من القواعد الأساسية التي اعتمدها في الترجيح[٤].

ابن عطية[٥].فهي عنده من قواعد الترجيح الأساسية، ورجح بها كثير من الأقوال، وضعف بها كثير كثير من الأقوال وهذا في متن كتابه[٦].

الرازي: كان مرجحا بمضمون هذه القاعدة، كان يفسر السورة من أولها إلى آخرها كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد، فيكون هذا التفسير أولي مما ذكروه[٧].

العز بن عبد السلام: كان مقررا بمضمون هذه القاعدة حيث قال: إذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولي.[٨]

ونقل الزركشي عنه قوله: السياق يرشد إلى تبين المجملات وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال.[٩]

القرطبي[١٠].حيث قال في معرض تعليله لأحد اختياراته في التفسير، قال ابن عباس: هو من محاورة نوح لقومه: وهو أظهر، لأنه ليسقبله ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه[١١].

---

(١)- هو : صالح بن كسبان المدني من فقهاء المدينة ، إمام حافظ ثقة كثير الحديث ، يعد من التابعين ، توفي بعد الأربعين والمائة ، تهذيب الكمال (ج١٣/ص٧٩) وسير أعلام النبلاء (ج٥/ص٤٥٤)

(٢)- سورة ق الآية (رقم ٢١)

٣- جامع البيان (ج٢٦/ص١٦٢)

٤- جامع البيان (ج٣/ص٢٣٣) و(ج٧/ص١٧٤، ٢٢٥) و(ج٩/ص١٠٥، ١٣٩) وغيرها أمثلة كثيرة

(٥)- هو : عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي أبو محمد ، صاحب المحرر الوجيز ، كان فقيهًا عالمًا بالتفسير والأحكام والحديث واللغة والأدب ، توفي سنة إحدي وأربعين وخمسمائة ، طبقات المفسرين (ج١/ص٢٦٥) وطبقات المفسرين للسيوطي (ص٥٠)

(٦)- المحرر الوجيز (ج١/ص١٥٦) و(ج٤/ص٢١٤) و(ج٧/ص٢٥٥)

(٧)- مفاتيح الغيب(ج٢٧/ص١٣٥)

(٨)- الإشارة إلى الإيجاز (ص٢٢٠)

(٩)- البحر المحيط في الأصول (ج٦/ص٥٢)

(١٠) -هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري المفسر صاحب الجامع ، كان عابدا زاهدا ، له تصانيف كثيرة ، توفي سنة إحدي وسبعين وستمائة ، انظر الديباج المذهب لابن فرحون (ج٢/ص٣٠٨) وطبقات المفسرين (ج٢/ص٦٩)

(١١)- الجامع لأحكام القرآن (ج٩/ص٢٩).

شيخ الإسلام ابن تيمية: حيث قرر الخطأ في التفسير بمراعاة مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام.(١)

وعملا بمضمون القاعدة حيث قرر عند تدبر القرآن يجب النظر إلى ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن تبين له المراد وعرف الهدي والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج عند تفسيره لبعض الآيات(٢).

ابن القيم: ممن اعتمد هذه القاعدة وقررها ورجح بها بين الأقوال في التفسير فصحح أقولا وضعف أخري(٣).

ابن جزي الكلبي(٤).قرر العمل بهذه القاعدة في مقدمة تفسيره من أوجه الترجيح حيث قال: السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده(٥).

ابن كثير: حيث استظهر بهذه القاعدة أقوالا كثيرة في تفسيره(٦).

الزركشي: حيث قرر بمضمون هذه القاعدة عند عرضه الأمور التي تعين على المعني عند الإشكال هي دلالة السياق، فإنها ترشد إلى تبين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظرته(٧).

(١)- مجموع الفتاوي (ج١٣/ص٣٥٥- ٣٥٦).

(٢)- مجموع الفتاوي (ج١٥/ص٩٤).

(٣)- انظر بدائع الفوائد (ج٤/ص٩).

(٤)- هو: محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي أبو القاسم ، فقيه ، أصولي ، لغوي ، مفسر ، صاحب التسهيل، وله مؤلفات كثيرة كثيرة في علوم مختلفة ، استشهد في عام إحديوأربعين وسبعمائة ، انظر (الدرر الكامنة : ج/٣/ص٤٤٦) وطبقات المفسرين (ج٢/ص٨٥).

(٥)- التسهيل لعلوم التنزيل (ج١/ص٩).

(٦)- انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج٢/ص٢٦٦) و(ج٧/ص٦١)

(٧)- البرهان (ج٢/ص٢٠٠) وهذا نص كلام ابن القيم في البدائع (ج٤/ص٩)

١٣،١٤- الشوكاني وصديق خان[١].فقد قرروا العمل بمضمون هذه القاعدة واستعملاها في ترجيح بعض الأقوال في أمثلتها [٢].

١٥- الألوسي: حيث أنه عمل بمضمون هذه القاعدة ورجح بها أقولا واستبعد بها أخري[٣].

١٦،١٧- محمد عبده[٤] **وتلميذه محمد رشيد رضا**[٥].قال على لسان شيخه: وإن أفضل قرينة قرينة تقوم على حقيقة معني اللفظ: موافقة لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعني في التفسير.

المطلب الرابع: التطبيق على القاعدة.

وذلك من خلال قوله تعالي ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[٦].

اختلف المفسرون في المراد بالدخان الذي أمر الله بارتقابه على عدة أقوال:

القول الأول: هو دخان يجيء قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس المنافقين والكافرين حتي تكون كأنها مصلية حنيذة[٧].

(١)- هو : محمد صديق خان بن حسن الفتوحي ، الهندي ، أبو الطيب ، صاحب فتح البيان في التفسير ، مشارك في علوم كثيرة باللغات العربية والفارسية والهندية ، توفي سنة سبع وثلثمائة وألف ، سير أعلام النبلاء (ج٦/ص١٦٧)

(٢)- فتح القدير للشوكاني (ج٢/ص٤٩٧) وفتح البيان (ج٦/ص١٧٤) الطبعة العصرية

(٣)- انظر روح المعاني (ج٦/ص١٥٣)و(ج٧/ص١٩٩)

(٤)- محمد عبده بن حسن خيرالله آل التركماني، مفتي مصر في وقته، من رجال الإصلاح والتجديد، ألف في التفسير والتصوف والعقائد والعقائد ، وله مواقف جهادية ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر، مات سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وألف، الأعلام(ج٦/ص٢٥٢).

(٥)- هو : محمد رشيد بن علي رضا، صاحب مجلة المنار، واحد رجال الإصلاح الإسلامي، تتلمذ علي محمد عبده، وضمن كثير من أقواله من مؤلفاته، له تفسير القرآن الحكيم، توفي سنة أربع وخمسين وثلثمائة وألف، الأعلام (ج٦/ص١٢٦)

(٦)- سورة الدخان الآية (رقم ١٠)

(٧) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير](تنبيه هام) : هذه الطبعة تنتهي بآخر سورة القمر، من أول سورة الرحمن إلى آخر التفسير موافق لـ ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، وهذا الجزء الأخير ليس ضمن مقارنة التفاسير، (٥/ ٢٨١).

القول الثاني: قال عبد الله بن مسعود: هو الدخان الذي رأته قريش حين دعا الرسول صلي الله عليه وسلم عليهم أي قريش بسبع كسبع يوسف عليه السلام، فكان الرجل يري من الجدب والجوع دخانا بينه وبين الناس(١).

القول الثالث: إنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة (٢).

من خلال عرض الأقوال يتضح لنا القول الراجح هو القول الثاني لمناسبة السياق وهو قول ابن مسعود وقد رجح هذا القول لموافقة صياغ القاعدة وقد وافق ابن مسعود كلا من المفسرين مثل: ابن عطية(٣) والقرطبي (٤) والطبري(٥) وابن عاشور(٦) وشهاب الدين الكوراني(٧).

المطلب الخامس: تطبيق ابن أبي زمنين للقاعدة.

وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالي ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾(٨).

بعد قراءة تفسير ابن أبي زمنين للآية نلاحظ ما يلي:

واضح أنه رجح القول الثاني وهو قول عبد الله بن مسعود وهو المقصود بالدخان الذي رأته قريش حين دعا الرسول صلي الله عليه وسلم عليهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام فكان الرجل يري الجدب والجوع دخانا بينه وبين الناس،(٩) واستشهاده بتفسير مجاهد(١٠).

المطلب السادس: تطبيق مكي بن أبي طالب للقاعدة.

وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالي ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾(١١).

بعد قراءة تفسير مكي بن أبي طالب للآية تلاحظ لنا ما يلي:

تبين لنا هذه الأقوال وهي(١٢):

القول الأول: قول ابن مسعود وغيره من المفسرين (دعاء النبي صلي الله عليه

(١)- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدا لحق ابن عطية الأندلسي ، دار ابن حزم (ص١٦٩١)

(٢)- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط١(١٤٢٧هـ/٢٠٠٢م)(ج١٩/ص١٠٨)

(٣)- المحرر الوجيز لابن عطية (ص١٦٩١).

(٤)- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي(ج١٩/ص١٠٨).

(٥)- جامع البيان للطبري (ج٦/ ٥٤٤).

(٦)- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور .

(٧)- غاية أماني في تفسير الكلام الرباني ، لشهاب الدين الكوراني (ج٦/ص٤٨٥- ٤٨٧).

(٨)- سورة الدخان الآية (رقم ١٠)

(٩) - تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (ج٤/ص٢٠٠).

(١٠)- تفسير مجاهد في تفسيره لسورة الدخان الآية رقم ١٠، (ج١/ص٥٩٧).

(١١)- سورة الدخان الآية (رقم ١٠).

(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، (٦٧٢٧/١٠).

وسلم على كفار قريش).

القول الثاني: قول ابن عمرو والحسن (مجيء الساعة)

القول الثالث: قول حذيفة (تسوق الناس إلى المحشر)

القول الرابع: قول زيد بن على (ما ينظر بهم يوم القيامة من العذاب) [١].

من خلال عرض هذه الأقوال يتضح لنا أن القول الراجح ألا وهو قول بن مسعود الموافق لسياق الآية ولصياغة القاعدة التي نحن بصددها[٢]

المطلب السابع : موازنة بين تطبيق كلا من الإمامين ابن أبي زمنين ومكي بن أبي طالب للقاعدة.

من خلال الموازنة بين الإمامين تبين لنا وجود أوجه اتفاق وأوجه اختلاف كما يلي:

أولا: أوجه الاتفاق:

اتفاقهم في قول ابن مسعود وهو القول الراجح الموافق لسياق الآية ومؤيد للقاعدة.

ثانيا: أوجه اختلاف:

اختلاف مكي بن أبي طالب مع قول ابن أبي زمنين للقاعدة بعرض أقوال كلا من (ابن عمرو والحسن/ قول حذيفة / وقول زيد بن علي)وهذه الأقوال لا توافق سياق الآية ولا تأيد للقاعدة.

مما سبق يتضح لنا أن الإمام ابن أبي زمنين قد طبق القاعدة " إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولي من الخروج به عن ذلك "[٣]، عن مكي بن أبي طالب وهو تأيد القول الراجح ألا وهو قول ابن مسعود واستشهاده بتفسير مجاهد.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، (٦٧٢٧/١٠).

(٢)–تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية (ج١٠/ص٦٧٢٧).

(٣)[٣] قواعد الترجيح عند المفسرين، (ص٢١٥)